مدخنون في احتفالية اليوم العالمي للامتناع عن التدخين!

العراقيون يستهلكون مليار علبة سنوياً وحصة كل فرد منها ١٢٠٠ سيجارة

وكيل وزير الصحة: هنالك اطباء يمارسون التدخين في ردهات المستشفيات!

اياد عطية
تصوير: سمير هادي

لم اكن المدخن الوحيد من بين الحاضرين في الاحتفالية التي نظمتها جمعية مكافحة التدرن والامراض الصدرية بالتعاون والتنسيق مع شعبة الامراض غير الانتقالية والنفسية في دائرة الصحة العامة والرعاية الصحية في وزارة الصحة العراقية بمناسبة اليوم العالمي للامتناع عن التدخين في ٣١ / ٥ / ٢٠٠٥ ضمن سلسلة من الندوات والمؤتمرات الصحية التي تنظمها الوزارة بالتنسيق مع منظمات المجتمع المدني.
كان حدسي في محله فكثير من الحاضرين في هذه الندوة من المدخنين، بل ان احد اعضاء جمعية مكافحة التدخين المنظمة لهذه الاحتفالية كان مدخناً، لكن هذه المفارقات في بلادنا وهي كثيرة الان لم تعد مثيرة للدهشة.

مخاطر جسيمة

لا اعرف بالضبط كم من الحاضرين في هذا الاحتفال امتنعوا عن التدخين في هذا اليوم، وهل ادت التحذيرات التي اطلقها اطباء العراق في هذه الندوة وبعضهم من المدخنين الى دفع المدخنين ممن حضروها في الاقل للاقلاع عن التدخين، لقد كانت الارقام والاحصائيات التي تضمنها التقرير السنوي الصادر عن منظمة الصحة العالمية مرعبة، فلقد اظهرت الاحصائيات ان هناك ١,٣ بليون مدخن في العالم، يتسبب التدخين في وفاة اربعة ملايين وتسع مئة الف شخص منهم سنوياً، ويتوقع التقرير ان تزداد نسبة الوفيات الى عشرة ملايين شخص سنوياً ٧٠٪ منهم في الدول النامية.

مشكلة عالمية

التدخين مشكلة عالمية ضخمة لا يمكن مواجهتها بحلول جزئية منفردة، بل لا بد ان تشارك كل الجهات ذات العلاقة لاجل مكافحة التدخين بصورة فعالة من خلال مشاريع للوقاية اولاً، ثم التشجيع على الاقلاع عنه وحماية غير المدخنين من التعرض للتدخين غير المباشر. ويضيف مدير شعبة الامراض غير الانتقالية والنفسية في دائرة الصحة العامة، ان من ضمن الامور التي نسعى اليها تعريف غير المدخنين بحقوقهم من الاضرار التي يسببها لهم الاشخاص المدخنون وهذا واحد من الجهود التي نبذلها لحماية غير المدخنين من التعرض للتدخين غير المباشر.

اتفاقية اطارية لمكافحة التبغ

اتفاقية منظمة الصحة العالمية بشأن مكافحة التبغ هي اول معاهدة دولية لحماية الصحة العامة من اخطار التدخين واستخدامات التبغ المختلفة، جاءت هذه الاتفاقية نتيجة لجهود مخلصة، بعد ان ادرك الجميع خطورة التدخين، فسعت الدول الى توحيد الجهود ضمن توجهات الصحة العالمية لوضع اتفاقية عالمية لتوحيد الرؤى والاساليب العمومية للمعالجة وتدعو الاتفاقية الى..

- المنع الكامل للاعلان والترويج للتدخين.
- رفع قيمة الضرائب على منتجات التبغ.
- وضع تحذيرات صحية واضحة على علب السجائر ومنتجات التبغ.
- توفير الامكانات المادية والطبية اللازمة للمساعدة على الاقلاع عن التدخين.
- مكافحة تهريب التبغ.
- منع بيع التبغ لمن هم دون السن القانونية.
- حماية البيئة من الآثار لزراعة التبغ وانتاجه واستخدامه.

والعراق واحد من بين البلدان التي انضمت مؤخراً الى هذه الاتفاقية التي تهدف الى نشر المعلومات الخاصة باستخدام التبغ فيما يتعلق بطبيعته الادمانية ليتمكن كل شخص من اختيار القرارات الخاصة في ضوء ذلك، كما تهدف الاتفاقية الى حماية غير المدخنين من المخاطر القاتلة للتدخين السلبي، ونسعى الى رفع الالتزام السياسي بمكافحة التبغ في مختلف البلدان بما يؤدي الى خفض عدد الوفيات المرتبطة باستخدام التبغ وضمان مشاركة القطاعات المختلفة بما يضمن التنسيق والنجاح في مكافحة التدخين وتقرير مسؤولية شركات التبغ عن الضرر الذي يلحقه التدخين سواء بالصحة او البيئة.

تجارة رائجة

يعد العراق واحداً من اكبر الدول المستهلكة للتبغ، ويمكن لاي شخص هنا الحصول بيسر على السجائر، وهو جالس في سيارته او حتى في منزله، حدود مفتوحة لمختلف البضائع ومنها السكائر كما ان العراق هو البلد الوحيد الان في العالم الذي لا يفرض رسوماً كمركية على استيراد منتجات التبغ المختلفة ومن ضمنها السجائر. برغم ان الاطباء الذين حضروا احتفالية اليوم العالمي للامتناع عن التدخين اسهبوا في تعداد الاسباب التي تدفع الاشخاص الى التدخين، ولكن اعتقاد العديد من الناس ان السجائر تمثل حلاً للهروب من المشاكل وتهدئة الاعصاب في بلد يعاني شعبه على مدى عقدين او اكثر ، مشاكل سياسية واقتصادية متراكمة يعد اهم اسباب الاقبال المتزايد على التدخين برغم ان الابحاث الصحية في هذا المجال لم تثبت ان السكائر يمكن ان تكون عاملاً مساعداً في تهدئة الاعصاب بل ان الطب اثبت العكس.

كما ان بعض الشباب يعتقد ان السكائر ضرورة مكملة للشخصية او لابرازها في مجتمع تضاءلت فيه فرص اثبات الشخصية عن طريق العمل الابداعي في مختلف مجالات الحياة، هذا بالطبع اضافة الى اسباب كثيرة من بينها الجهل من مخاطر التدخين وغياب الرعاية الاجتماعية والنفسية، وارتفاع معدلات البطالة وغيرها من الامور التي توفر بيئة مشجعة ودافعة الى ادمان على التدخين.

وفي تقرير لمنظمة الصحة العالمية قدر عدد السكائر المستهلكة في العراق نحو مليار علبة سكائر في عام ١٩٩٨ وحده، أي ان كل فرد بالغ في العراق بلغت حصته نحو ١٢٠٠ سيجارة سنوياً.

استهلاك التبغ واضراره

قدرت منظمة الصحة العالمية اجمالي حجم التجارة العالمية للتبغ بـ (٤٠٠) مليار دولار سنوياً وبلغت ارباح الشركات العالمية الثلاث الكبرى فقط نحو ٩ مليارات دولار، حصة شركة موريس فيليب (٤,٦) مليار دولار والشركة البريطانية الامريكية للتبغ BAT (2) مليار دولار وشركة رينولدز (٧٦٠) مليون دولار.

وقد ادى الاستهلاك الكبير لمنتجات التبغ الى زيادة كلفة العناية الطبية نتيجة الامراض العديدة التي يسببها التدخين، ويمكن ان تصل كلفة العناية الطبية اللازمة عند استهلاك (١٠٠٠) طن اضافي من التبغ الى (٦) ملايين دولار، وباستعمال هذا الرقم وبالعودة الى ارقام معدلات استهلاك التبغ في العراق فان كلفة العناية الطبية تصل الى نحو (١٤٠) مليون دولار سنوياً، واظهرت دراسات اخرى تابعت الاضرار الاقتصادية التي يلحقها التدخين باجهزة التكييف والاجهزة الالكترونية، واجهزة المحافظة على البيئة، بنحو(٤٥٠-١٠٠٠) دولار سنوياً، لكن التعدي على الارض المنتجة للغذاء، نتيجة استعمالها في زراعة التبغ وهي مادة مضرة بالانسان يؤدي الى خسارة كبيرة لاراض صالحة لانتاج الغذاء، وقد اظهرت دراسة عراقية ان عائدات زراعة الخضراوات في العراق ومن بينها الطماطة تفوق عائدات انتاج التبغ.

اغواءات

في بغداد ومراكز المدن العراقية تنتشر في الشوارع والمحال الاعلانات الضوئية التي تروج للسكائر، كما ان تنوع السكائر واغلفتها البراقة بأشكال جميلة تغري الجميع وتدفعهم الى التدخين، كذلك وجود المدخنين من مختلف الفئات العمرية والثقافية والطبقية رجالاً ونساءً يدخنون في كل مكان، البيت، الشارع، المقهى، المطعم في اثناء العمل وبعده هذا كله يمثل حافزاً لغير المدخنين بدخول التدخين، وبرغم ان العديد من التعليمات قد صدرت بمنع التدخين في المؤسسات الصحية كافة، يؤشر المراقبون بوضوح استمرار التدخين في جميع المرافق الصحية بما فيها وزارة الصحة نفسها بل ان بعض الاطباء يمارسون التدخين احياناً في ردهات المرضى الذين قد يسبب التدخين في وفاتهم

٤٠٠ مليار دولار حجم التجارة العالمية للتبغ. وقد بلغت ارباح اكبر شركاتها المنتجة ٩ مليارات دولار

وقد وصف وكيل وزارة الصحة العراقية عمار الصفار الذي كان حاضراً الاحتفالية، هذ الممارسات بالاستهتار وقال: لا استطيع ان احفها بغير هذه الوصف لقد شاهدت بعيني مجموعة من الاطباء في مستشفى ابن النفيس يدخنون قرب صالة العمليات وفي ردهات علاج المرضى . والجدير بالاشارة الى ان مستشفى ابن النفيس هو احد المستشفيات المتخصصة بمعالجة امراض القلب.

حملات لمكافحة التدخين

بدأت حملات مكافحة التدخين في العراق منذ عام ١٩٣٩ بصيغة قوانين تشريعية، وقد صدر في ذلك العام قانون باسم قانون انحصار التبغ: تم فيه تحديد مناطق زراعة التبغ وحصر تسلمه من المزارعين وتوزيعه على المعامل. كما صدر في العام نفسه قانون الرسوم المكسية: تم بموجبه فرض رسوم مكسية على علب السكائر وابتدأت بمقدار فلسين عن كل علبة ثم تلا هذين القانونين وعلى مدى سنوات لاحقة اصدار مجموعة من القوانين واعداد مسودات وتعليمات وضوابط للحد من ظاهرة انتشار التدخين. كما تولت جمعيات ومنظمات مهمة مكافحة التدخين وبدأت في البلاد حملات مكثفة بنشاط ملحوظ من قبل جمعية مكافحة السرطان العراقية وجمعية مكافحة التدرن والامراض الصدرية وذلك في بداية السبعينيات، كما تم الاتفاق على جعل يوم ٢٨ تشرين الاول من كل عام يوماً وطنياً للامتناع عن التدخين، وفي عام ٢٠٠٣ صدرت تعليمات بمنع التدخين في المؤسسات الصحية كافة في كتاب صدر من وزارة الصحة بتوقيع المستشار الاقدم لوزارة الصحة العراقية وعمم على جميع المؤسسات الصحية واعاد الوكيل الفني لوزارة الصحة تأكيد الكتاب عام ٢٠٠٤.

مؤسسات المجتمع المدني

تشهد الساحة العراقية حركة متسارعة هادفة الى تفعيل منظمات المجتمع المدني العراقي لتأخذ دورها في خدمة قضايا الانسان وكل ما يلامس حياته، وفي مجال مكافحة التدخين يمكن ان تلعب دوراً مهماً للحد من استفحال ظاهرة التدخين ومكافحتها بتنمية المجتمع والتغلب على المشكلات التي تعيق تقدمه.

خطر حقيقي

على الرغم من ان المدخنين في العراق ليسوا من شريحة واحدة ولا من فئة عمرية معينة، فالتدخين منتشر في اوساط الشباب كما النساء والاطفال، ولكن تبقى ظاهرة تفشي التدخين لدى الاطفال تمثل خطراً حقيقياً يهدد صحة المجتمع حاضراً ومستقبلاً تترك اثارها السلبية على مختلف الميادين، ولغاية الان لا توجد احصائية رسمية عن عدد الاطفال المدخنين في العراق. لكن واقع الحال يشير الى تفشي هذه الظاهرة عند الاطفال حتى في سن السابعة والثامنة، وسواء اكانوا من اطفال المدارس او من الاطفال الذين لم يدخلوا المدرسة لاسباب مختلفة، ويمكننا ان نقول ان قلة الوعي باخطار التدخين المختلفة والتأثر بوسائل الدعاية المضللة التي تعطي انطباعاً وصورة وهمية للنضج والجاذبية والقوة وكمال الشخصية اضافة الى توفر منتجات التبغ والسماح للتدخين في الاماكن العامة وغياب المراقبة والمتابعة الاسرية هي العوامل الرئيسة التي تدفع الاطفال واليافعين للادمان على التدخين كما ان تدخين الاشخاص الذين يعتبرون قدوة بنظر الاطفال امامهم كالآباء، ورجال الدين، التربويين، الاطباء يعد من العوامل التي تشجع الاطفال على هذه العادة.

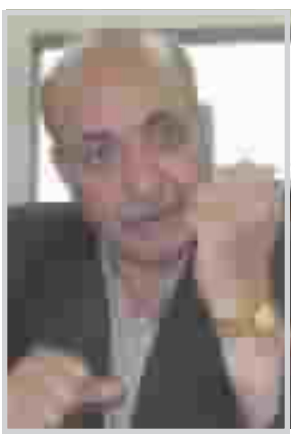
د.ظافر سلمان
رئيس جمعية التدرن والامراض الصدرية

- مشروع وطني لتحصين الاطفال ضد الشروع بالتدخين

- مدير شعبة الامراض غير الانتقالية: نسعى الى تعريف غير المدخنين بالاضرار التي يلحقها المدخنون بصحتهم

خاصة تلك المنظمات التي تمتلك مقومات انجاحها وجمعية مكافحة التدخين واحدة من مؤسسات المجتمع المدني التي تتبنى مشاكل الانسان العراقي صحياً واقتصادياً. ويؤكد الدكتور ظافر سلمان رئيس جمعية مكافحة التدرن والامراض الصدرية اهمية ان ياخذ الحشد المجتمعي لمنظمات المجتمع المدني مداه الاوسع من خلال المساندة والدعم من المنظمات غير الحكومية لكي يقوم بالدور المنوط به والخاص بتنمية المجتمع والتغلب على المشكلات التي تعيق تقدمه.

خطر حقيقي

على الرغم من ان المدخنين في العراق ليسوا من شريحة واحدة ولا من فئة عمرية معينة، فالتدخين منتشر في اوساط الشباب كما النساء والاطفال، ولكن تبقى ظاهرة تفشي التدخين لدى الاطفال تمثل خطراً حقيقياً يهدد صحة المجتمع حاضراً ومستقبلاً تترك اثارها السلبية على مختلف الميادين، ولغاية الان لا توجد احصائية رسمية عن عدد الاطفال المدخنين في العراق. لكن واقع الحال يشير الى تفشي هذه الظاهرة عند الاطفال حتى في سن السابعة والثامنة، وسواء اكانوا من اطفال المدارس او من الاطفال الذين لم يدخلوا المدرسة لاسباب مختلفة، ويمكننا ان نقول ان قلة الوعي باخطار التدخين المختلفة والتأثر بوسائل الدعاية المضللة التي تعطي انطباعاً وصورة وهمية للنضج والجاذبية والقوة وكمال الشخصية اضافة الى توفر منتجات التبغ والسماح للتدخين في الاماكن العامة وغياب المراقبة والمتابعة الاسرية هي العوامل الرئيسة التي تدفع الاطفال واليافعين للادمان على التدخين كما ان تدخين الاشخاص الذين يعتبرون قدوة بنظر الاطفال امامهم كالآباء، ورجال الدين، التربويين، الاطباء يعد من العوامل التي تشجع الاطفال على هذه العادة.

صبادرة

ان انتشار ظاهرة الاطفال المدخنين دفعت جمعية مكافحة التدخين الى طرح مشروع وطني لتحصين الاطفال من الشروع في التدخين ويهدف هذا المشروع الى:

- زيادة وعي المعلمين والتربويين لمخاطر التدخين المختلفة.
- تنمية مهارات المعلمين في التوعية ونقل المعلومات الى الطلبة والمجتمع.
- زيادة معارف التلاميذ في المدارس الابتدائية عن التبغ ومخاطره.
- زيادة اهتمام عوائل الطلبة باضرار التدخين لحماية اطفالهم منه.

وقد تم اعداد هذا المشروع ضمن فعاليات مكافحة التدخين بالتنسيق مع معلمي الابتدائية للاستفادة من خبرتهم في نشر الوعي الى المجتمع من خلال التلاميذ حول مضار التدخين ومساهمة الجميع في مكافحته.

اقتراحات

قدم المشاركون في الاحتفالية العديد من المقترحات للحد من انتشار التدخين، ودعا بعضهم الى وضع قوانين قسرية ترغم الجميع على عدم تداول او بيع هذه المادة المضرة، كما طالب عدد من الاطباء بوضع تشريعات لمكافحة التدخين، واخرى لحماية غير المدخنين من اعراض التدخين. ودعا الحضور ايضاً الى استخدام جميع الوسائل بما فيها الوازع الديني لتحريم التدخين وتداوله. وبرغم وجود عدد هائل من الاطباء المشاركين في هذه الاحتفالية، لكننا لم نجد أي بحث طبي قدمه الاطباء. وكل مطالبهم واقتراحاتهم كانت تتركز على الجانب القانوني، في حين يسعى الباحثون والاطباء الاجانب لايجاد وسائل طبية لمكافحة التدخين، كما حدث في جامعة بيتر سبوج الامريكية، اذ اكتشف باحثون فيها ان شم الروائح النفاذة يقلل الحافز على التدخين، فقد سجل ٥٨ مدخناً مستويات اشتياقهم للنكوتين على ميزان يبدأ من الصفر وينتهي بالمئة قبل وبعد شم روائح قوية مثل جوز الهند والنعناع والفيكس وتبين للباحثين ان الروائح القوية سواء اكانت طيبة ام كريهة تخفض الشراهة نحو التدخين بنسبة ٢٠٪. ويقول الدكتور مايكل ساين الذي اشرف على الدراسة ان الجزء من الدماغ الذي يتحكم بالشره هو الموقع نفسه الذي يعالج الروائح، وينصح ساين: اذا اردت التخلص من علبة التدخين عليك ان تضع قارورة امامك تحتوي على رائحة قوية مثل الخل او النعناع او اية رائحة نفاذة.

توصيات

وصدر عن الندوة التي اقيمت على هامش الاحتفالية توصيات عديدة لمكافحة التدخين.. منها:

١- حماية الاطفال من ان يصبحوا مدمنين.
٢- المطالبة بسياسة تشجع على عدم استخدام التبغ.
٣- تنشيط ودعم مؤسسات المجتمع المدني المهتمة بقضية مكافحة التدخين.
٤- استخدام شطر من حصيلة الضرائب على التبغ لتمويل برامج مكافحة التدخين.
٥- المطالبة بمشاريع قانون يمنع التدخين.
٦- تعزيز البرامج الصحية والتثقيفية للاقلاع عن التدخين.
٧- حماية المواطنين من التعرض بالاكراه للدخان والتبغ البيتي.
٨- حظر كل الاعلانات التي تروج للتدخين بشكل مباشر او غير مباشر.
٩- فرض قيود على منتجات التبغ.

اضافة الى توصيات عديدة اخرى دفعت وكيل وزارة الصحة عمار الصفار الى القول: ما يهمنا هو متابعة التوصيات التي ظلت حالة هلامية، لذلك ادعو الى تشكيل سكرتارية او لجنة متابعة لتنفيذ هذه التوصيات. وعلقت سعاد المالكي مديرة النشاط الكشفي في الرصافة الثانية بالقول: القرارات والتوصيات وحدها لا تكفي، اطالب جميع الاعلاميين ان يقوموا بدورهم ومسؤوليتهم بمكافحة التدخين، مع اعتبار ان مكافحة التدخين عمل جماعي لا يقتصر على جهة واحدة.

لاشفافية!

وفي هذا الصدد اوضح اني ولثلاثة ايام متتالية قضيتها في وزارة الصحة محاولاً الحصول على الاتفاقية الاطارية لمنظمة الصحة العالمية التي قرأتها في الاحتفالية الدكتورة منى، ووعدتني بارسالها لي عن طريق المكتب الاعلامي في وزارة الصحة، ولم احصل عليها برغم اني كنت اتجول في طبقات بناية الوزارة من طبقة الى اخر وكدت افقد الامل لولا ان احدى موظفات المكتب دفعتها (واجب القربى) حين عرفت انها تشاركني لقب العشيرة المرادف لاسمي ولولا موقف احد الزملاء ممن يكنون الاحترام والتقدير لصحيفة (المدى)، لفقدت الامل خاصة ان مطالبتي والحاحي على الموظفة كادا يوقعاني في مشكلة وتلك واحدة من هموم الصحفيين مع وزارة تريد للصحافة ان تلعب دوراً حيوياً في مشاريعها وبرامجها.

اطباء العراق يطالبون بقرارات قسرية لإرغام المدخنين على الامتناع عن التدخين ونظراؤهم في الولايات المتحدة يجرون بحوثاً طبية لمساعدة المدخنين على الاقلاع عنه.